



INTERNATIONAL JOURNAL OF CREATIVE RESEARCH THOUGHTS (IJCRT)

An International Open Access, Peer-reviewed, Refereed Journal

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان البحث

الدبلوماسية والعلاقات الخارجية في الدولة الآصفجاهية

Diplomacy And Foreign Relations In The Asaf Jahi State

إعداد

الدكتور محمد منظور حسين

Dr. Md. Manzoor Hussain

الأستاذ المشارك، ورئيس قسم اللغة العربية
كلية النساء الحكومية، غولكنده، حيدرآباد، الهند.

Associate Professor & Head Dept. of Arabic,

Government Degree College for Women,

Golconda, Hyderabad, India. 500008

ملخص البحث

في العصر الذهبي لحكام آصف جاہي تميزت السياسة الخارجية بدبلوماسية متطورة وفعالة، وكانت حيدر آباد تحت حكم الأسرة الآصفجاهية نقطة التقاء رئيسية في شبكة العلاقات الدولية في جنوب الهند، وتمكن الحكام من تحقيق توازن بين القوى الإقليمية الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا من خلال التحالفات والتفاهات الاستراتيجية التي دعمت استقرارهم الداخلي وأمنت مصالحهم الاقتصادية والسياسية.

وركزت دبلوماسية حكام آصف جاہي على التوسع التجاري وتعزيز الروابط الاقتصادية مع القوى العالمية، لأن مدينة حيدر آباد كانت مركزاً رئيسياً للتجارة والتبادلات الثقافية، مما جعلها محطة اهتمام القوى

الاستعمارية الأوروبية من خلال المفاوضات والاتفاقيات التجارية، ونجح الحكام في تأمين مصالحهم وتعزيز النمو الاقتصادي للإمارة.

وإلى جانب ذلك، كان حكام آصف جاهي يستثمرون في العلاقات السياسية مع الولايات الهندية الأخرى، وحافظوا على علاقات طيبة مع السلطنة العثمانية والإمبراطورية الفارسية، مما ساعد على تعزيز مكانة حيدر آباد كقوة إقليمية مؤثرة، وكانت هذه السياسات الخارجية الذكية جزءاً من استراتيجية شاملة لتعزيز الاستقرار وتعظيم النفوذ في ظل الصراعات والتغيرات الإقليمية والدولية.

مقدمة

شهدت الدولة الأصفجائية التي أسسها نظام الملك آصف جاهي في الدكن (جنوب الهند) خلال القرن الثامن عشر الميلادي، فترة من الاستقرار السياسي والتقدم الثقافي والاقتصادي لعب حكام هذه الدولة دوراً مهماً في تشكيل العلاقات الدولية والدبلوماسية مع القوى الإقليمية والعالمية في ذلك الوقت، مما جعل هذه الفترة محطة اهتمام الباحثين لدراسة أساليب الدبلوماسية وآليات التعامل مع التحديات الخارجية.

تعتبر الدبلوماسية في عصر حكام آصف جاهي عاملاً مهماً في استقرار الدولة واستمراريتها، حيث اعتمدت على موازنة العلاقات مع القوى الاستعمارية مثل بريطانيا وفرنسا، بالإضافة إلى الحفاظ على علاقات ودية مع الممالك الإسلامية والهندوسية المحيطة تظهر أهمية دراسة هذا الموضوع في فهم كيفية تعامل الحكام الأصفجائية مع تعقيدات السياسة الدولية والاستراتيجيات التي استخدموها للحفاظ على سيادتهم وسط القوى المتنافسة.

وتتبع أهمية هذا البحث من كونه يلقي الضوء على جانب مهم من تاريخ الدكن، وهو دراسة العلاقات الخارجية والدبلوماسية التي كانت جزءاً أساسياً من بقاء واستمرارية الدولة الأصفجائية كما أن دراسة الدبلوماسية في هذه الفترة تسهم في فهم كيفية تأثير القوى الاستعمارية والإقليمية على سياسة المنطقة في تلك الفترة، وما هي الآليات التي استخدمها الحكام للحفاظ على التوازن والاستقلال السياسي.

ويستعرض هذا البحث نشأة الدولة الأصفجائية والتحديات السياسية والاجتماعية التي واجهتها في بداية عهدها ويتناول العلاقات الدبلوماسية مع القوى الاستعمارية الأوروبية وكيف أثرت هذه العلاقات على السياسة الداخلية للدولة ويناقش هذا المبحث الدبلوماسية التي اتبعتها الدولة مع الممالك المجاورة للحفاظ على الاستقرار الإقليمي والتأثير الثقافي والديني

واتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على دراسة المصادر التاريخية الموثوقة، وتحليل الأحداث والعلاقات الدبلوماسية في ضوء التطورات السياسية والاقتصادية في تلك الفترة .

التمهيد

إن مدينة حيدر آباد تُعتبر من أعظم المدن في تاريخ الهند، فقد جمعت بين العراق والمجد على مر العصور، مستفيدة من موقعها الاستراتيجي وثقافتها الغنية منذ تأسيسها في القرن السادس عشر على يد "محمد قولي قطب شاه"، أظهرت حيدر آباد تميزًا استثنائيًا في الحفاظ على تراثها العربي والإسلامي، مما جعلها مركزًا مزدهرًا للفكر والثقافة والفن في الهند حملت المدينة على عاتقها دورًا محوريًا في تاريخ الهند الإسلامي، حيث كانت معقلًا للعلماء والمفكرين والشعراء الذين توافدوا إليها من مختلف أنحاء العالم، مساهمين في تعزيز مكانتها كمركز للمعرفة والإبداع.

كانت فترة حكم "الأسرة الأصفهانية" بمثابة العصر الذهبي لحيدر آباد، حيث ازدهرت الفنون والعلوم، وأنشئت المؤسسات الأكاديمية والثقافية التي ما زال أثرها باقيًا حتى اليوم الحكام الأصفهانيون مثل "آصف جاه السادس والسابع" كان لهم الفضل الكبير في إحياء التراث الإسلامي من خلال بناء القصور الفاخرة، المساجد العريقة، والمكتبات التي ضمت أندر المخطوطات والكتب جعلت هذه الرؤية الحكيمة من حيدر آباد واحدة من أعظم مراكز التعليم والبحث العلمي في العالم الإسلامي والهندي، مما ساعد في صقل هويتها الحضارية والإنسانية.

ومع التطور الحضاري الحديث، لم تتراجع حيدر آباد، بل استمرت في التطور والتألق لقد تحولت إلى واحدة من أكبر مراكز التكنولوجيا في الهند، حيث ازدهرت بفضل "مدينة التكنولوجيا" "HITEC City"، التي أصبحت مركزًا عالميًا للتكنولوجيا الحديثة والابتكار ورغم هذا التقدم التقني السريع، ظلت حيدر آباد محافظة على جذورها التاريخية وتراثها الثقافي، مما يضفي على المدينة مزيجًا فريدًا من الأصالة والحداثة هذا التوازن الرائع بين العراق والتطور جعلها وجهة مميزة تجمع بين التاريخ المشرق والطموح المتجدد.

وحيدر آباد اليوم هي رمز للتنوع الثقافي والتسامح الديني، حيث تعايشت فيها طوائف وأعراق مختلفة على مر الزمن تحتضن المدينة معالم تاريخية مبهرة مثل: "حصن غولكنده" "شارمينار"، "قصر تشومهاالا"، و"قصر فالكنوما"، التي تروي حكايات مجد الإمبراطورية الإسلامية في الهند، فيما تواصل شوارعها الحديثة نبض الحياة بالأسواق، الشركات العالمية، والمؤسسات التعليمية المتقدمة تعتبر حيدر آباد مدينة نابضة بالحياة تجمع بين ماضيها المجيد ومستقبلها الواعد، مما يجعلها منارة للتقدم والتطور.

وإن تاريخ حيدر آباد الغني وتطورها المستمر يجعلانها رمزاً للتكيف والازدهار فسواء كان ذلك من خلال إرثها الثقافي أو ازدهارها الصناعي، تبقى حيدر آباد مدينة تقف بفخر كواحدة من أعظم مدن الهند، تجمع بين عراقة الماضي وروح العصر الحديث، مما يجعلها ملهمة للأجيال القادمة ووجهة عالمية للباحثين والمبدعين.

الخلفية التاريخية لتأسيس الحكومة الأصفهاية

إن الدولة الأصفهاية في حيدر آباد كانت تعتبر واحدة من أهم الدول الإسلامية التي ظهرت في جنوب الهند، ويعد تأسيسها إحدى المحطات المهمة في تاريخ الهند الإسلامي، وقد بدأ هذا الكيان السياسي على يد مير قمر الدين خان المعروف بلقب نظام الملك آصف جاه الأول في عام 1724م، بعد سلسلة من الأحداث السياسية المضطربة التي أعقبت ضعف الإمبراطورية المغولية في الهند.

الدولة القطبشاهية وأصول حيدر آباد: قبل تأسيس الدولة الأصفهاية، كانت حيدر آباد جزءاً من الدولة القطبشاهية التي حكمت جنوب الهند، وخصوصاً منطقة "غولكوندا" وتأسست الدولة القطبشاهية في النصف الأول من القرن السادس عشر على يد سلطان قُلي قطب شاه، وكانت تتخذ من مدينة غولكوندا مركزاً لحكمها في عام 1591م، وقام محمد قُلي قطب شاه خامس حكام الدولة القطبشاهية، بتأسيس مدينة حيدر آباد واتخذها عاصمة لدولته تمتاز حيدر آباد بموقع استراتيجي ونمط حضري مميز، وأصبحت مركزاً حضارياً وثقافياً كبيراً في جنوب الهند¹.

انهيار الإمبراطورية المغولية وبداية الصراعات: بعد وفاة الإمبراطور المغولي أورنجزيب عام 1707م، دخلت الإمبراطورية المغولية في حالة من التراجع والصراعات على السلطة بين أبنائه وأحفاده شهدت هذه الفترة اضطرابات كبيرة في الهند، حيث استغلت العديد من القوى المحلية مثل الماراثا والسيخ والهندوس هذه الانقسامات السياسية لتوسيع نفوذها.

وفي عام 1719م جلس أبو المظفر ناصر الدين محمد شاه فروخ على العرش بعد صراع مع إخوته، و خلال فترة حكمه عيّن مير قمر الدين خان الذي كان أحد قادته البارزين، والياً على إقليم الدكن ومنحه لقب نظام الملك فتح جنغ كان مير قمر الدين خان شخصية قوية ذات تأثير كبير، واستطاع بمهارته العسكرية والإدارية أن يفرض نفوذه على المنطقة².

¹ د- ولا سيد عبد الستار، المواطنة والتعايش السلمي في عهد الدولة الأصفية في حيدر آباد بالهند دراسة وصفية تحليلية في ضوء المصادر الأردنية، مجلة العلوم العربية، مجلد2، العدد 10، يوليو- ديسمبر، 2022م، ص 6.

² عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الطبعة الثالثة 1990م، ص 306.

الاستقلال وتأسيس الدولة الأصفاهية (1724م): مع تزايد ضعف الإمبراطورية المغولية وظهور الفوضى السياسية في دلهي، استغل نظام الملك قمر الدين خان الفرصة ليعلن استقلاله في منطقة الدكن، خاصة في حيدر آباد، ويؤسس الدولة الأصفاهية عام 1724م هذا الإعلان جاء بعد سلسلة من المواجهات مع أمراء البلاط المغولي الذين حاولوا التخلص منه، ولكن بفضل قدراته العسكرية، استطاع الحفاظ على نفوذه واستقلاله³.

تثبيت الحكم والتحديات العسكرية: بعد إعلان الاستقلال، واجه نظام الملك تهديدات متعددة من قوى محلية مثل الماراثا الذين كانوا يسعون إلى التوسع في جنوب الهند في هذا السياق، قام نظام الملك بتوطيد حكمه في حيدر آباد وقام بإصلاحات إدارية لتحسين الوضع السياسي والاقتصادي في دولته.

ورغم هذه التحديات، نجح في تحقيق الاستقرار في الدولة الأصفاهية، وقضى على بعض التهديدات الماراثية التي كانت تشكل خطرًا على المسلمين في المنطقة هذا النجاح جعله قادرًا على الحفاظ على استقلال حيدر آباد عن القوى المغولية والماراثية⁴ والبريطانية⁵.

التوسع الحضاري والازدهار الثقافي: تحت حكم الدولة الأصفاهية، أصبحت حيدر آباد مركزًا ثقافيًا واقتصاديًا مهمًا في جنوب الهند اتبع حكام الدولة سياسة قائمة على التعايش السلمي بين مختلف الطوائف الدينية في المنطقة، بما في ذلك المسلمين والهندوس كانت المدينة نموذجًا للتسامح الديني والثقافي، وشهدت تطورًا كبيرًا في مجالات الفن والعمارة والأدب.

كما أصبحت حيدر آباد مركزًا علميًا، حيث تم إنشاء العديد من المدارس والمكتبات والمراكز الثقافية التي جذبت العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء الهند ونتيجة لذلك، أصبحت المدينة رمزًا للتطور الحضاري الإسلامي في جنوب الهند.

نبذة عن حكام الدولة الأصفاهية

تاريخ حكام الدولة الأصفاهية في حيدر آباد يعكس مدى نجاحهم في تحقيق التوازن بين الاستقرار الداخلي والتعامل مع التحديات الخارجية استطاع الحكام العشرة الذين تعاقبوا على عرش هذه الدولة أن يؤسسوا نموذجًا متميزًا للحكم العادل والمتسامح، ما أسهم في بناء مجتمع متماسك ومتعدد الثقافات، وأدى إلى ازدهار حيدر آباد حضاريًا واقتصاديًا فيما يلي نظرة عامة على حكام الدولة الأصفاهية:

³ سيد امجد علي صاحب اشهرى، سوانح عمرى "اعلحضرت نظام الملك آصفجاه مير محبوب علي خان بهادر، فرمانرواے حيدر آباد"، باراول 1911م، ص 14.

⁴P. V. Kate, *Marathwada under the Nizams: 1724-1948*, Delhi 1982, s. 1-9, 23-48, 147-192.

⁵ د- يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عهد حاليه)، دار الطبع – جامعه عثمانيه، سرکار عالي، حيدر آباد، 1944م، ص 30.

1. نظام الملك آصف جاه الأول (1724م - 1748م): مؤسس الدولة الأصفجائية، وهو مير قمر الدين خان، المعروف بلقب نظام الملك تولى الحكم بعد استغلال ضعف الإمبراطورية المغولية وانشغالها بالصراعات الداخلية، وركّز على توطيد حكمه في منطقة الدكن وحيدر آباد، وقام بتطوير المدينة وتأسيس بنية تحتية قوية، وتميز حكمه بالاستقرار السياسي والازدهار الثقافي، حيث أصبحت حيدر آباد مركزًا للتعليم والفنون الإسلامية⁶.

2. نظام الدولة ناصر جنغ (1748م - 1750م): خلف مير أحمد خان والده كحاكم للدولة ورغم قصر فترة حكمه، إلا أنه تمكن من الحفاظ على استقرار الدولة في وجه التحديات الخارجية.

3. النواب هدايت محي الدين سعد الله خان بهادر المعروف بـ مظفر جنغ (1750م - 1751م): تولى الحكم بعد وفاة نظام الدولة حكم لمدة عام واحد فقط، وقد تميزت فترته بالصراع المستمر مع القوى المحلية مثل الماراتا وبعض الزعماء الإقليميين.

4. النواب سيد محمد خان صلابت جنغ (1751م - 1762م): تولى الحكم بعد مظفر جنغ، وشهدت فترة حكمه اضطرابات داخلية نتيجة صراعات على النفوذ، لكنه استطاع تحقيق استقرار نسبي في أواخر حكمه، مما ساهم في استمرار الدولة الأصفجائية.

5. النواب مير نظام علي خان نظام الملك آصف جاه الثاني (1762م - 1803م): يعتبر من أبرز حكام الدولة الأصفجائية مير نظام علي خان لأنه تمكن من تعزيز قوة الدولة من خلال تحالفات مع القوى الأوروبية، وخاصة البريطانيين في عهده، وتوسعت حيدر آباد حضارياً واقتصادياً، وأصبحت من أكثر المدن ازدهاراً في جنوب الهند، وقام بعدة إصلاحات إدارية ومالية وأصبح محوراً مهماً للتجارة في جنوب آسيا.

6. النواب مير أكبر علي خان سكندر جاه (1803م - 1829م): خلف نظام الملك آصف جاه الثالث أباه، وكان حكمه مستقرًا إلى حد كبير شهدت حيدر آباد تطوراً في مجالات العمارة والبناء، وكانت فترة حكمه مليئة بالكرم والاستقرار الداخلي.

7. النواب مير فرخنده علي خان ناصر الدولة آصف جاه الرابع (1829م - 1857م): شهدت حيدر آباد خلال حكمه بعض الأزمات المالية نتيجة سوء إدارة رئيس وزرائه الهندوسي، إلا أن الأوضاع عادت إلى طبيعتها بعد إصلاحات قام بها رئيس وزرائه الجديد سر سالار جنغ ومع ذلك، تأثر حكمه سلباً بثورة الهند الكبرى عام 1857م.

⁶Jadunath Sarkar, "The Hyderābād State", *Cambridge History of India* (ed. Sir R. Burn), Cambridge 1937, IV, 377-391, 622.

8. النواب مير تهنيت علي خان أفضل الدولة آصف جاه الخامس (1857م - 1869م): تولى الحكم بعد وفاة انصار الدولة كانت فترة حكمه قصيرة نسبياً ولكنها شهدت استقراراً نسبياً في العلاقات مع القوى الاستعمارية البريطانية.

9. النواب مير محبوب علي خان فاتح جنك آصف جاه السادس (1869م - 1911م): يُعد نواب مير محبوب علي خان واحداً من أكثر الحكام شعبيةً في تاريخ الدولة الأصفجائية كانت فترة حكمه متميزة بتطوير التعليم، الصحة، والبنية التحتية في حيدر آباد كما قام ببناء العديد من المنشآت العامة التي لا تزال قائمة حتى اليوم.

10. آصف جاه السابع (1911م - 1948م): مير عثمان علي خان هو آخر حكام الدولة الأصفجائية، وقد حكم حتى اندماج حيدر آباد في الهند عام 1948م، وكان حاكماً ذا شعبية كبيرة، واشتهر بإدارته الحكيمة وحرصه على تطوير الدولة على الرغم من محاولاته للحفاظ على استقلال حيدر آباد، إلا أن الدولة اندمجت في الهند بعد العملية العسكرية التي قامت بها الحكومة الهندية⁷.

تأثير الدبلوماسية الأصفجائية على التطورات السياسية والاقتصادية

إن العلاقات بين الدولة الأصفجائية والإمبراطورية البريطانية كانت معقدة ومتشابكة، وشملت جوانب سياسية واقتصادية وعسكرية أثرت بشكل كبير على مستقبل الدولة يمكن تقسيم هذه العلاقات إلى مراحل متعددة، بدءاً من التعاون المبكر في القرن الثامن عشر وصولاً إلى التحولات التي شهدتها المنطقة في القرن التاسع عشر نتيجة التدخلات البريطانية المتزايدة.

البداية المبكرة للعلاقات الودية: الدولة الأصفجائية تأسست في منتصف القرن الثامن عشر في حيدر آباد على يد مير قمر الدين، المعروف باسم آصف جاه الأول منذ البداية، كانت العلاقة بين الدولة الأصفجائية والإنجليز ودية نسبياً، وسعى آصف جاه الأول لتأمين دعم بريطاني سياسي وعسكري، في وقت كانت فيه الهند مسرحاً للتنافس بين القوى الأوروبية، خاصة بين بريطانيا وفرنسا.

في تلك الفترة، كانت شركة الهند الشرقية البريطانية تكتسب نفوذاً كبيراً في شبه القارة الهندية، وكانت تسعى لتوثيق علاقاتها مع الحكام المحليين لضمان استقرار مصالحها الاقتصادية، فالحكام الأصفجائيون من جانبهم رأوا في بريطانيا شريكاً قوياً يمكن أن يساعدهم في تثبيت حكمهم وسط النزاعات المحلية والتوسع الاستعماري الأوروبي⁸.

⁷ لمزيد من المعلومات أنظر: غلام أحمد وكيل، نظام آباد دكن ماضي وحال كے تاريخی حالات، طبع اول، حيدر آباد دكن، 1348هـ.

⁸ سيد مراد علي طالع، سلسلة مطبوعات ادارہ ادبيات، اردو شمارہ 80-90، حيدر آباد، 1940-1943م.

التعاون العسكري والسياسي: خلال فترة حكم مير نظام علي خان، آصف جاه الثاني، تعززت العلاقات بين الدولة الأصفجائية والبريطانيين، خاصة في المجال العسكري كانت بريطانيا وفرنسا في تنافس مستمر على السيطرة على الهند، والدولة الأصفجائية تحالفت مع البريطانيين لتحقيق مصالحها الخاصة خلال الحروب التي شهدتها الهند في تلك الفترة، مثل الحروب الأنغلو-ميسورية، دعمت قوات الدولة الأصفجائية الجيش البريطاني، مما ساعد بريطانيا على تحقيق انتصارات هامة⁹.

هذه التحالفات العسكرية ساهمت في تثبيت وجود البريطانيين في جنوب الهند، وأمنت للدولة الأصفجائية حلفاء أقوى ضد أعدائها المحليين مثل مملكة ميسور وحكام مراثا ومع ذلك، أدى هذا التحالف إلى اعتماد متزايد على البريطانيين، خاصة من الناحية العسكرية.

الاتفاقيات التجارية والاقتصادية: العلاقات التجارية بين الدولة الأصفجائية وبريطانيا كانت جانباً آخر هاماً في هذه العلاقة في عام 1803، وتم توقيع اتفاقية تجارية بين حكومة حيدر آباد وشركة الهند الشرقية التي كانت آنذاك الأداة الرئيسية لبريطانيا في إدارة شؤونها في الهند هذه الاتفاقية سمحت للطرفين بجمع الإيرادات من الضرائب والأنشطة التجارية كما أعطت لحاكم حيدر آباد الحق في إقامة موانئ خاصة بالسفن ومصانع تجارية، مما عزز الاقتصاد المحلي.

ومع ذلك، وعلى الرغم من هذه الفوائد الاقتصادية، أدت هذه الاتفاقيات إلى تزايد النفوذ البريطاني في الشؤون الداخلية للدولة الأصفجائية وأصبحت حيدر آباد تعتمد بشكل أكبر على المساعدات المالية البريطانية، خاصة في الفترات التي واجهت فيها الدولة أزمات مالية.

الأزمة المالية والاعتماد على الإنجليز: خلال حكم نواب ناصر الدولة آصف جاه الرابع، واجهت الدولة الأصفجائية أزمة مالية حادة كان السبب الرئيسي هو سوء إدارة الموارد من قبل رئيس وزرائه "راجا تشاندو لال"، الذي أساء إدارة الإيرادات وأدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية للدولة في ظل هذه الأزمة، وبذلك لجأ الحاكم آصف جاه الرابع إلى الاستدانة من البريطانيين لدفع رواتب الجيش والنفقات الحكومية الأخرى.

في عام 1853، وكنتيجة مباشرة لهذه الأزمات المالية، ضُمت مقاطعة "برار" الغنية بالموارد إلى شركة الهند الشرقية كجزء من تسوية مالية مع الدولة الأصفجائية هذا الحدث يعد نقطة تحول هامة في تاريخ العلاقات بين حيدر آباد والبريطانيين، حيث بدأ النفوذ البريطاني في الازدياد بشكل كبير¹⁰.

⁹ س م عظيم، تاريخ حيدر آباد: من السلالة المغولية إلى النظامية، مكتبة الدكن، 1995، ص 39.

¹⁰ سيد مراد علي طالع، سلسلة مطبوعات ادارة ادبيات، اردو شماره 80-90، حيدرآباد، 1940-1943م، ص 17.

الإصلاحات ومحاولات استعادة الاستقلال: رغم ازدياد النفوذ البريطاني، سعى بعض حكام حيدر آباد إلى استعادة نوع من الاستقلال الذاتي كان من أبرز هؤلاء الحكام نواب مير علي خان سر سالار جنغ، الذي أصبح رئيساً للوزراء بعد إقالة راجا تشاندو لال قام سر سالار جنغ بإصلاحات كبيرة في الإدارة والمالية، وسعى إلى تقليص الاعتماد على المساعدات البريطانية¹¹.

على الرغم من هذه الجهود، ظلت الدولة الأصفهاية تحت تأثير البريطانيين، خاصة فيما يتعلق بالشؤون الخارجية والدفاع ومع ذلك، نجحت هذه الإصلاحات في إعادة الاستقرار إلى حيدر آباد، مما أدى إلى فترة من الهدوء النسبي والازدهار الاقتصادي.

الاضطرابات في الهند والعلاقة مع البريطانيين: بعد الحرب العالمية الأولى، شهدت الهند اضطرابات سياسية كبيرة، ولكن حيدر آباد استمرت في التمتع بحالة من الاستقرار الداخلي كان السبب الرئيسي وراء هذا الاستقرار هو السياسات الداخلية الحكيمة للحكام الأصفهايين، الذين حافظوا على علاقات ودية مع جميع الطبقات الاجتماعية وحرصوا على تجنب النزاعات العرقية والطائفية التي كانت تعصف ببقية أنحاء الهند¹².

ورغم النفوذ البريطاني، حافظت حيدر آباد على درجة من الاستقلال في شؤونها الداخلية، وهو ما سمح لها بالازدهار في فترة كانت فيها العديد من المناطق الهندية الأخرى تعاني من الاضطرابات.

العلاقة بين الدولة الأصفهاية والعثمانية

على مر الزمن، وبناءً على طلب نظام حيدر آباد، تم إقامة اتصالات بين سلاطين الدولة العثمانية ونظام حيدر آباد، حيث تم تبادل الرسائل والهدايا في بعض الأحيان، وبدأت هذه العلاقات في عام 1744، عندما أرسل نظام الملك آصف جاه بالتعاون مع سلطان المغول محمد شاه رسالة إلى السلطان العثماني محمود الأول، وكان الغرض من الرسالة هو تعزيز العلاقات بين الهند والدولة العثمانية لمواجهة خطط شاه إيران للاستيلاء على الهند، وقد أرسل الرسالة سفير يدعى سيد عطا الله أفندي الذي حمل كلمات المجاملة الدبلوماسية، وتلقى ردًا مماثلاً من السلطان محمود الأول.

وفي عام 1748، أرسل نظام الملك رسالتين أخريين إلى السلطان محمود الأول، وفي الرسالة الأولى أعرب عن ارتياحه لانتصارات الدولة العثمانية على إيران، وذكر أنه لن يتم التمرد على سلطان المغول بناءً على نصائح السلطان العثماني، أما في الرسالة الثانية، فكانت استراتيجية أكثر، حيث دعا نظام الملك

¹¹ الدولة الإسلامية حيدر آباد دكن، مؤلف غير معروف، ص 8.

¹²H. G. Briggs, *The Nizam: His History and Relations with the British Government*, I-II, Delhi 1861.

العثمانيين إلى احتلال إيران للقضاء على الوجود الشيعي في المنطقة واستبداله بالإسلام السني تحت رعاية الدولة العثمانية، على الرغم من عدم وضوح رد فعل العثمانيين تجاه هذه الدعوة واستمرت العلاقات بين الطرفين.

وأرسل ناصر جنج، ابن نظام الملك، رسالة أخرى إلى السلطان محمود الأول، حيث خاطب السلطان بصفته خليفة رسول الله، مؤكداً على ضرورة الجهاد ضد الكفار، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أظهر نظام حيدر آباد اهتماماً كبيراً بالدولة العثمانية تماشياً مع توجهات عامة في الهند، وخلال الأزمات التي واجهتها الدولة العثمانية طلب النظام من الإنجليز دعم الدولة العثمانية، محذراً من أن المسلمين سيتخلون عن ولائهم للإنجليز إذا لم يقدموا الدعم.

واستمر هذا الاهتمام حتى إلغاء الخلافة في 3 مارس 1924م، وبعد نفي الخليفة الأخير عبد المجيد أفندي الذي واجه صعوبات مالية، قام نظام عثمان علي خان بمنحه راتباً شهرياً قدره 300 جنيه، ولاحقاً قام النظام بتزويج ابنته در شهوار من ابنه الأكبر هداية أعظم جاه، كما تزوج ابنته الأخرى نيلوفر سلطان من ابنه الأصغر شجاع الدين معظم جاه¹³.

نهاية الدولة الأصفاهية وانضمامها إلى الهند

قررت ولاية حيدر آباد بقيادة حكام الدولة الأصفاهية البقاء مستقلة وعدم الانضمام لأي من الهند أو باكستان في 11 يونيو 1947، زأصدر الحاكم مير عثمان علي خان آصف جاه السابع فرماناً يوضح الأسباب التي دفعت الولاية إلى تفضيل الاستقلال وجاء في الإعلان أن حيدر آباد كانت تضم سكاناً من مختلف الديانات والعقائد، وكان الانضمام إلى أي من الدولتين قد يؤدي إلى غضب بعض الطبقات والأقليات داخل الولاية، خاصة مع وجود تعقيدات دينية وطائفية.

لأن مدينة حيدر آباد تميزت بأنها كانت مجتمعاً متنوعاً دينياً وثقافياً، يضم المسلمين والهندوس وغيرهم وقد أشار الحاكم إلى أن انضمام الولاية إلى الهند أو باكستان قد يؤدي إلى فقدان التوازن الاجتماعي الذي تمتع به المجتمع الحيدرآبادي لعدة قرون كانت الحكومة تفضل الاستقلال مع الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الدولتين الهندية والباكستانية كما أن غالبية سكان حيدر آباد فضلوا الاستقلال للحفاظ على الحقوق والحريات التي تمتعوا بها تحت حكم الدولة الأصفاهية.

لكن بعد إعلان تقسيم الهند في عام 1947م، وقيام دولتين مستقلتين هما الهند وباكستان، وجدت شبه القارة الهندية نفسها مقسمة إلى حوالي 600 ولاية وإقليم وبموجب قانون التقسيم، كان للأقاليم والولايات الحق في

¹³N. Rahman Farooqi, *Mughal Ottoman Relations*, Delhi 1989, s. 80-85.

اختيار الانضمام إلى الهند أو باكستان كانت هذه الولايات تتمتع بحق تقرير المصير، وكان عليها اتخاذ قرار بشأن مستقبلها في إطار الدولتين الجديدتين.

وحاولت الهند وحيدر آباد التوصل إلى اتفاق يضمن الاستقرار مع الحفاظ على استقلال حيدر آباد في نوفمبر 1947، وتم توقيع اتفاقية الوضع الراهن (Standstill Agreement) بين حكومة الهند ونظام الملك، الحاكم الأصفجائية، والتي نصت على تأجيل البت في وضع الولاية لمدة عام وفقاً لهذه الاتفاقية، تعهدت الهند بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لحيدر آباد، وتقديم الحماية والمساعدة الاقتصادية للولاية. الضغوط الهندية: مع مرور الوقت، بدأت الحكومة الهندية تمارس ضغوطاً على حيدر آباد للانضمام إلى الاتحاد الهندي حاولت الهند إقناع الحاكم بالتنازل عن الاستقلال والانضمام إلى الهند، خاصة وأن الولاية كانت تقع في وسط البلاد ولا تتشارك الحدود مع باكستان، ما جعلها جزيرة سياسية محاطة بالأراضي الهندية.

الموقف الدولي: حاولت حيدر آباد الحفاظ على استقلالها من خلال توطيد العلاقات مع الدولتين، ولكن الهند لم تكن مستعدة لقبول وجود ولاية مستقلة داخل حدودها الجغرافية كما أن الوضع الجغرافي للولاية جعلها عرضة للضغوط السياسية والعسكرية في نهاية المطاف، استخدمت الهند القوة العسكرية لإجبار حيدر آباد على الانضمام إليها، فيما عرف بـ "عملية بولو" في سبتمبر 1948، والتي أنهت استقلال الدولة الأصفجائية وضممتها رسمياً إلى الاتحاد الهندي¹⁴.

النهاية الرسمية: بانضمام حيدر آباد إلى الهند، انتهى عصر الدولة الأصفجائية الإسلامية التي أسسها آصف جاه الأول في أوائل القرن الثامن عشر كانت الدولة قد ازدهرت على مدار هذه الفترة وحافظت على إرث من التعايش والتسامح الديني بين مختلف الطوائف ومع ذلك، فإن التدخل الهندي في عام 1948 أنهى هذا الحكم، وبدأت حقبة جديدة تحت الإدارة الهندية¹⁵.

تأثير السقوط: كان سقوط حيدر آباد علامة فارقة في تاريخ الهند بعد الاستقلال، حيث شكل ضم واحدة من أكبر وأغنى الولايات الأميرية في البلاد بالنسبة للمسلمين في الهند، كان ذلك الحدث محزناً حيث فقدوا إحدى آخر معاقل الحكم الإسلامي في شبه القارة الهندية، فيما استمر التوتر الطائفي في الهند بعد ذلك.

¹⁴ الدولة الإسلامية حيدر آباد دكن، مؤلف غير معروف، ص 12.

¹⁵ للمزيد من المعلومات راجع: احسان حق، مأساة كشمير المسلمة، دار القارئ العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1993م، ص 74 - 77.

الخاتمة

الدولة الأصفاهية التي تأسست في حيدر آباد عام 1724م على يد نظام الملك آصف جاه الأول، كانت واحدة من أكثر الدول الإسلامية تأثيراً في جنوب الهند شهدت الدولة فترات من الازدهار الثقافي والتقدم الاقتصادي، وكان لها دور كبير في تشكيل الهوية الحضارية لمنطقة الدكن واستطاع حكام الدولة الأصفاهية أن يبنوا دولة قوية ومستقرة رغم التحديات الداخلية والخارجية التي واجهتهم تميزت فترات حكمهم بالعدل والتسامح، مما أدى إلى بناء مجتمع متعدد الثقافات والأديان يتمتع بالسلام والاستقرار، ومع نهاية الحكم البريطاني واندماج الهند، اختتمت حقبة الدولة الأصفاهية التي كانت رمزاً للتسامح والتعايش الديني في جنوب الهند، وعلى الرغم من المحاولات المستمرة للحفاظ على الاستقلال بعد التقسيم، إلا أن التدخل العسكري الهندي حسم الموقف، وأصبحت حيدر آباد جزءاً من الاتحاد الهندي، منهيّة بذلك فترة حكم إسلامي طويل استمر لأكثر من 200 عام لكن إرثها الثقافي والحضاري لا يزال حياً حتى اليوم في مدينة حيدر آباد.

المصادر والمراجع

1. د- ولا سيد عبد الستار، المواطنة والتعايش السلمي في عهد الدولة الأصفية في حيدر آباد بالهند دراسة وصفية تحليلية في ضوء المصادر الأردية، مجلة العلوم العربية، مجلد2، العدد 10، يوليو- ديسمبر، 2022م.
2. عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الطبعة الثالثة 1990م.
3. سيد امجد على صاحب اشهرى، سوانح عمرى "اعلحضرت نظام الملك آصفجاه مير محبوب علي خان بهادر، فرمانرواے حيدر آباد"، باراول 1911م.
4. د- يوسف حسين خان صاحب، تاريخ دكن (عهد حالیه)، دار الطبع – جامعہ عثمانیہ، سرکار عالی، حيدر آباد، 1944م.
5. غلام أحمد وکیل، نظام آباد دکن ماضی و حال کے تاریخی حالات، طبع اول، حيدر آباد دکن، 1348هـ.
6. سيد مراد على طالع، سلسله مطبوعات اداره ادبيات، اردو شماره 80 - 90، حيدرآباد، 1940-1943م.
7. الدولة الإسلامية حيدر آباد دکن، مؤلف غير معروف.
8. احسان حقى، مأساة كشمير المسلمة، دار القارئ العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1993م.

9. P. V. Kate, Marathwada under the Nizams: 1724-1948, Delhi 1982, s. 1-9, 23-48, 147-192.
10. N. Rahman Farooqi, Mughal Ottoman Relations, Delhi 1989, s. 80-85.
11. H. G. Briggs, The Nizam: His History and Relations with the British Government, I-II, Delhi 1861.
12. Jadunath Sarkar, “The Hyderābād State”, Cambridge History of India (ed. Sir R. Burn), Cambridge 1937, IV, 377-391, 622.

